آليات الحجاج
في شعر الشيخ عبد الواحد المظفر
«بطل العلقمي» انموذجاً

الاستاذ المساعد: ليلى مناتي محمود

كلية اللغات/ جامعة بغداد

Laylamnite@colang.uobaghdad.edu.iq

آليات الحجاج في شعر الشيخ عبد الواحد المظفر
«بطل العلقمي» انموذجاً

الاستاذ المساعد: ليلى مناتي محمود

كلية اللغات/ جامعة بغداد

Laylamnite@colang.uobaghdad.edu.iq

الملخص

ليست اللغة أداة للتواصل والتخاطب فحسب، بل هي خاضعة للمقاييس المنطقية، والعلاقات الرياضية، التي تتماشى مع قصد المتكلم الهادف لإقناع المتلقي، لذلك حاولنا البحث عن آليات الحجاج في موسوعة بطل العلقمي، للعلامة آية الله الشيخ عبد الواحد المظفر (قده)، كونها نموذج منفرد حاول فيها صاحبها الكشف عن شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، من خلال الاحتجاج بكل قيمة نبيلة وصفة كريمة من القيم التي يحبها العرب، وقد ألحّ الشاعر في توليد صوره على ما يؤكد شجاعته وايثاره وجوده، مما دعانا لدراسة كلامه من ضمن رؤية لسانية حجاجية، تنوعت عناصرها بين حجج، وروابط تساندية، ونتائج صريحة وأخرى مضمرة، وما سواها من عناصر حجاجية، أسهمت في تحقيق الوظيفة الحجاجية لنصوص الموسوعة التي تميل الى تحقيق الاقناع استناداً الى منظومة القيم السائدة في المجتمع، من خلال مقاربة تكتسب اهميتها من وظيفتها الإمتاعية والإقناعية محاولة منه التأثير في الجمهور الكوني.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الشعر، بطل العلقمي

Title: Argumentative Mechanisms in the Poetry of Sheikh Abdulwahid Al-Mazfar: "Batal Al-Alqami" as a Model

Assistant Professor: Leila Manati Mahmoud

University of Baghdad - College of Languages

Laylamnite@colang.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Language is not only a tool for communication and communication, but it is subject to logical standards and mathematical relationships, which are in line with the speaker's intention to persuade the recipient. Therefore, we tried to search for the mechanisms of Al-Hajjaj in the Encyclopedia of Batal Al-Alqami, by the scholar Ayatollah Sheikh Abdul Wahid Al-Muzaffar (may God have mercy on him).), It is a unique example in which its owner tried to reveal the personality of Abu al-Fadl al-Abbas (peace be upon him), by invoking every noble value and generous quality that the Arabs love. The poet insisted in creating his images on what confirms his courage, altruism, and presence, which prompted us to study his words. Among An argumentative linguistic vision, the elements of which varied between arguments, supportive links, explicit and implicit results, and other argumentative elements, which contributed to achieving the argumentative function of the encyclopedia texts, which tend to achieve persuasion based on the prevailing value system in society, through an approach that gains Its importance stems from its entertaining and persuasive function, an attempt to influence the global audience

Keywords: *Argumentation, Poetry, Batal Al-Alqami*

المقدمة

مما لاشك فيه أن النّص الشعري هو الحقل الخصب الذي يلقى فيه القارئ ضالته، ومبتغاه بوصفه أكثر النصوص انفتاحاً على قراءات متباينة ومختلفة، وذلك؛ لأن النص الشعري له قابلية الانفتاح على قراءات متعددة، لاسيما بما وفرته لنا المعارف الحديثة من مناهج وآليات أبانت عن مرونة ونجاعة في استنطاق مختلف النصوص والاجناس الأدبية، وقد اخترنا في هذا البحث أن ننظر للشعر من زاوية مغايرة تُعنى بالحجاج والمحاجّة، متخذين من موسوعة بطل العلقمي للشيخ العلامة آية الله عبد الواحد المظفر، نموذجاً للدراسة والمقاربة، ومن ثم سنحاول في هذا البحث النظر في مجموعة التقنيات الحجاجية، والآليات الخطابية التي اعتمدها الشيخ المظفر ليكشف عن شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، الذي أفاض في حياته ببرّه وعطائه على أخيه الحسين عليه السلام، لنبله وجوده، وشجاعته، وإيثاره؛ وذلك من خلال المقاربة الحجاجية، والغاية من ذلك كله إعلاء ذات الإمام العباس عليه السلام، من خلال روافد الحجاج المختلفة التي تكتسب اهميتها من وظيفتها الإمتاعية والإقناعية، فقد عمد إلى وسائل لغوية وتركيبية وبلاغية، كان لها أثر في تكثيف هذا الحجاج، محاولة منه التأثير في الجمهور الكوني عبر الحقب الزمنية المختلفة.

وسنحاول في هذا البحث استجلاء التقنيات البلاغية الحجاجية في شقيها المنطقي واللساني، ورصد مختلف الحجج المنطقية واللسانية التي تبنى عليها، ومن هنا جاء هذا البحث في مقدمة وعدة محاور وخاتمة أودعنا فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على ملاحظة الظاهرة ووصفها، كونه يتماشى مع منطق الظاهرة.

التمهيد:

التعريف بموسوعة بطل العلقمي وصاحبها:

تُعَدُّ الموسوعة أنفس هدية قدمها الشيخ عبد الواحد المظفر (قده) إلى الاسلام، وقد قسمه الشيخ المظفر إلى ثلاثة أجزاء؛ «فالجزء الاول» تاريخي من جهة إيراد أنساب العباس عليه السلام فيذكر أجداده وآباءه إجمالا إلى آدم عليه السلام، و«الجزء الثاني» يتضمن ما للعباس بن علي عليه السلام من الكنى والالقاب القديمة والحديثة أما «الجزء الثالث» يشتمل على منزلة العباس عند الحسين عليهما السلام، والوظائف التي وظفه لها الحسين عليه السلام كالسفارة وقيادة الجيش وانه ركن وعميد وأمثال ذلك.

نبذة عن المؤلف: هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن جواد بن باقر المظفر (موسوعة بطل العلقمي، ٢٠٠٨م: ١٠ – ١٤)، نشأ وترعرع في أحضان البيوت العلمية الطاهرة، وانحدر من طرفين كريمين نسباً وعلماً. تتلمذ على أيدي كبار العلماء، وبرز على علماء عصره، فصار العالم الاوحد، حتى حاز على ألقاب أشهرها «المحقق».

الحجاج مفهوماً:

الحجاج لغةً: هو مصدر لفعل (حاجج)، والحج: القصد. وحجّه يحجه حجاً: قصده. والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم(الكليات: أبو البقاء أيوب الكفوي،١٩٩٨: ٤٠٦). ويقال: حاجه محاجة وحجاجاً، أي: نازعه، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته (لسان العرب، مادة (حجج)،ج٢،٢٠٠٤م: ٧٧٨) وبهذا فإنّ الحجاج يختص بالدلالة على معنيين، هما الاقناع والقصد.

أما الحجاج اصطلاحا؛ فله تعريفات متعددة، أبرزها تعريفان:

١. **عرّف (بيرلمان) الحجاج:** بأنّه دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم، وربما كانت وظيفته؛ محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فيبعث على العمل المطلوب، أو هو مجموعة منى التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي، سواء كان المتلقي فرداً أم جماعة (علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات،٢٠١٠م:٢٣٤)

٢. **عرّف (كرستيان بلانتان):** انّه ممارسة الفكر مع الأخر، باستعمال تقنيات قادرة على نقل الفكر في صيغته المقصودة، إذ يقال إنّ المحاججة وجهاً معرفياً، وذلك بأنّ تحاجج، أي أن تمارس فكراً صائباً بوساطة بناء المادة، ثم بطرحها قضية للنقد، إذ إنّنا في ضوء ذلك نفكر، ونفسر، ونبرهن بوساطة الحجج والعلل والدلائل، ونقدم الدوافع، وبهذا تكون خلاصة المحاججة اكتشافاً، حيث تنتج إبداعاً ومعرفة (لغة المحاججة واللغة الوصفية، كرستيان بلانتان، ترجمة: نصيرة الغماري، جزء منه منشور في الانترنت (http:// aslimnet.free.fr/ress/n_ghoumari/ghou1.htm).

ومن هنا ركزنا حديثنا في (الخطاب الحجاجي)، بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب الحجاجي بخصوص تناميه واستمراره (الحجاج عند بيرلمان، ٢٠١٤م، ص٧٤)، ولاشي أسرع من حركية الدليل في تبيان مبدأ المقصود؛ ليرتقي ذلك الدليل إلى مستوى الحجة، لأنه واقعٌ نصيّ حامل لتلك الحقائق المطلقة، التي تجعل من الدليل يسبح فيها سبحاً غير مبرح، تأكيداً لوجود علاقة معرفية ترابطه بواقع النصّ، على اختلاف مستوياته الداخلية والخارجية؛ الأمر الذي يؤهل من الذات المتلقية أو تتحلى بلغة شاملة؛ لكي تدرك تلك الأبعاد التي يحويها الدليل، وعلى مختلف مواقعه السياقية، وتتنوع الحجج داخل النص بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي وما هو مقامي، وبين ما هو صحيح وتكون هذه الحجج في الغالب دعامة تستند إليها عمليات (الإقناع والاستمالة والتأثير والإقحام)، إذ يسعى الإنسان من خلالها إلى تمرير مواقفه وافكاره؛ لتغيير اعتقادات المتلقين. وتطرح عدة إشكالات بهذا الصدد، تجمل كلها في الرغبة الشديدة والحاجة الملحة للمخاطب في الإقناع والتأثير، بكل أنواع الحجج والوسائل.

فجاء البحث على عدة مباحث، هي:

المبحث الأول

الحجج المؤسسة على بنية الواقع

تعتمد هذه الحجة على الواقع، وتحاول مقاربة هذا الواقع دون أن تصفه وصفاً موضوعياً (في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات،٢٠١١م:٤٩)، فهي تقوم على تجربة عملية وعلاقات ماثلة بين الأشياء، يحاول المتكلم من خلالها أن يكون أكثر إقناعاً لمتلقيه (مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الامين، مجلة عالم الفكر، ع(٢)، ٢٠٠٠م، ط٢، ٢٠٠١م:٢١٤). بمقاربته الواقع، وتعاطيه ما يتناسب معه، وبذلك يكون الخطاب الحجاجي أقوى من التأثير على المتلقين الذين يضطرون إلى التماهي مع الواقع، ولا يستطيعون إنكاره.

لكن الحجاج لا يتأتى لها إلاّ "بجعل الأحكام المسلّم بها والاحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي إلى كلّ واحدً يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بإحداها من دون أن يسلّم بالأخرى" (الحجاج أطره ومنطلقاته، وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه، عبد الله صولة، ١٩١٤:٣٣١)، وهذه العناصر تعرض بطريقة تجعل معطيات الواقع أقرب إلى التسليم والتصديق لدى المتلقي، وبهذا يصل المتكلم إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه؛ ومن أنواعها:

١. الحجة السببية والحجة البرغماتية:-

تتخذ هذه الحجة التتابع أساساً لها، إذ تتأسس على مبدأ تسلسل الأحداث الواقعية التي يربط بينها رابط سببي يتوسط الحجة والنتيجة، يتصف بالنفعي البرغماتي، حتى " كأنها تختزل قيمة السبب في نتائجه، تعطي الانطباع أن كلّ القيم هي من نفس المستوى» (نظرية الحجاج عند بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، ٢٠١٤م:٧٢)، وغايتها التأثير في المتلقي بوساطة تثمين النتيجة الحجاجية في ذهنه، إلى درجة أن الاستدلال الحجاجي فيها يكون مباشراً، وتتجلى هذه التقنية في قول الشاعر (موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٢، ٢٠٠٨م:٤٥):

غــداة أعلن داعي الكفــر مبتهجاً
بكثــرة الحشــد في سّرٍ وفي علــنِ
انظر حســين إلى مــاء الفرات جرى
عذب الــرواء برود الطعــم كاللبن
فــلن تــذق قطــرة منه ولا جرعاً
حتى تمــوت لهيف القلــب ذا حزن
فهــزت البــطل العبــاس شيمته
إلى القــراع كهز الريــح للغصن
نادى أخاه ســليل الوحــي في أدب
أنت الصبور وصــبري بالهموم فني
دعني أُجالدهم أشــفي غليل حشى
ذابت حريقاً على ذي الحقد والإحن

أتكأ الشاعر على الحجج السببية في تبليغ اطروحته، مبرراً بها خروج الإمام العباس عليه السلام، إلى المشرعة، وإن الرابط السببي في النص تمثل بـأداتي (النفي، والفاء الرابطة)، المتمثلة بـ(فلن تذق قطرة منه.....)، (فهزت البطل العـباس....)، (فـإن لي ثـار...)، فبعد أن سيطر اصحاب الدّعي ابن زياد(لعنه الله عليه) على نهر الفرات، منعوا الحسين عليه السلام، وعياله من شرب الماء، فهاج ابو الفضل ماثلاً أمام أخيه يستأذنه؛ ليأخذ بثأره من اولئك المردة الفجرة، وهي دمـاء قومه وأخوته، فضلاً عن ذلك فإن الرابط الحجاجي (الواو) في الأبيات قام بالوصل بين الحجة والأخـرى، كما قام بترتيب هذه الحجج ورصفها لتشكيل البنية العامة، ومن ثم تقوية وتدعيم النتيجة، إذ يقول (موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٢، ٢٠٠٨م:٤٦):

وصرخة النسوة الثكـــلى تحركنـــي
على القـــراع لأهـل الغي والفتن
وهد ركن اصطبـــاري الباكيات ظما
من نسل خير الورى الهادي أبي حسن
وإنما ضجـــة الباكيـــن من عطش
تهـز أرسخ طـــود شـامخ القـنن
وكـــم رضيـــع يقـــاسي المـــوت من
ظمأ جفت ثـــدا أُمـه عـــن درة اللبن
دعنـــي أمـــوت ولم أســـمع مروعـــة
من العقائل تشـــكو شـــدة المحن

وبذلك فإن المقدمة الأولى هي نتيجة ومقدمة لنتيجة ثانية، للوصول إلى النتيجة النهائية، فإن سماعه صياح بنات خير الورى (أبي الحسن) نتيجة للعطش تارة، ومن البلاء تارة أخرى، أما السبب الآخر فهو سبب مبني على الأول، فمن الصعب عنده النزول على الضيم، وهو يرى الموت عند مُشتبك الأسنّة أسعد من حياة تحت الاضطهاد، فكان لا يرى للبقاء قيمة، وإمامُ الحقّ مكدور، وعقائل بيت الوحي قد بلغ منهن الكرب كلّ مبلغ.

ومثل ذلك قوله (موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٢، ٢٠٠٨م:٩١):

طـــارت جماهـــير العـــدو مروعـــة
مـــن خـــوف بأســـك أيهـــا الطيـــار
وكشـــفت حـــراس الشريعـــة فاتكاً
بالملحديـــــن كـأنـــك الكـــرار
فملكتهـــا رغـــم الاعـــادي عنوة
بالســـــيف عزمـــك جحفـــل جرار

إن النص هنا يستعيد واحدة من أهم الحوادث في معركة الطف، إذ إن العباس عليه السلام لم يُقتل لحظة وصوله إلى الشريعة، فقد كانت له صولات عديدة، فتك فيها بعسكر ابن زياد، وأن أخر صولة له كانت سبباً لإدخال الرعب بمعسكر العدو، فقد فرّ عنه العدو مروعاً نتيجة لبأسه، فضلاً عن ذلك فإن الصورة البلاغية التي أتى بها النص من (تشبيه، وكناية) تنبئ عن وظيفة إقناعية واضحة مستثمرة كل الوسائل المتاحة؛ لبيان منزلة قمر

العشيرة عند الله، وقد أسهمت الصورة الكنائية هنا (الطيار)، في الكشف عن المراتب السامية لأبي الفضل العباس عليه السلام، "فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله (عز وجل)بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل جعفر بن أبي طالب" وأن حالته الجهادية تلك أشبه بحالة عمه، حين استشهد في معركة مؤتة، وقد أختار الشاعر الكناية بدل التصريح ذلك لأن الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الأفضلية فيه(دلائل الاعجاز في علم المعاني، ابو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، ١٩٩٢م:٢٠٣)، فالصورة غير المباشرة التي تحمل ابعاداً تخييلية، تسهم ولا شك في تحريك مشاعر المتلقي وتزيد قناعته بما تتم محاججته فيه. ثم يلجأ إلى التشبيه فهو يشبه صولات العباس عليه السلام، في المشرعة كصولات أبيه حيدر الكرار، بالرغم من أن التشبيه هنا بسيط إلاّ أنه أدى دوره المنوط به في تعزيز البنية الحجاجية للنص من جهة وبنيته الحجاجية من جهة أخرى.

٢. الحجة الغائية (حجة التبذير):

وهي الحجة المؤسسة على استمرارية الالتزامات السابقة حتى لا تضيع الجهود المكتسبة(النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، ٢٠٠٥مم:٣٤)، أي أنها تأتي لإقناع الشخص بمواصلة عمله مهما كانت النتائج،» بما أننا شرعنا في انجاز هذا العمل وضحينا في سبيله بما لو اعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال والجهد؛ فإنه علينا أن نواصل انجازه»(في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار مسيكياني، ٢٠١١م:٥٠)، ويفهم من هذا أن هذه الحجة تأتي مبررة لأمر سبق التصريح به، ولكن هذا التبرير ليس معتمداً السببية(في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار مسيكياني،٢٠١١م:٥٠)، وإنما تبرير يفهم من خلال التمادي فيه والاصرار عليه، ومن أمثلتها قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٢، ٢٠٠٨م:٩١):

ما ذقت من ذاك المعين تذكراً
عطش الحسين ويهنك الايثار
إن الحسين أذاب مهجته الظما
فعلاك حين ذكرته استعبار
ناديت هوني بعد سبط محمد
يا نفس إني المؤثر الصبار
يسقيك إذ واسيته من حوضه
يوم القيامة جده المختار

يستهل الشاعر نصه بفعل إنجازي غير مباشر عن طريق النفي (ماذقت)، ويقود المتلقي إلى استكشاف إيثار أبي الفضل في كربلاء، مبرراً لها بحجة التبذير، فهو ليس مجرد ناصر لأخيه بل كان عنده فهم كبير وبصيرة عظيمة. لقد آثر على نفسه شرب الماء، وهو

عطشان تأسياً بالإمام الحسين عليه السلام وإيثاره، ولم تصدر منه تلك الفعلة الحميدة على جهة الفطرة والبداهة، بل على جهة الاختيار للمحبوب المطلوب شرعاً، لقد كان من الكاملين الذين وصفهم الإمام الصادق عليه السلام: "هم البررة بالإخوة في حال العسر واليسر، المؤثرون على انفسهم في حال العسر"(جامع أحاديث الشيعة، السيد أقا حسين البروجردي، ج٨، ١٤٠٧هـ:٣٧٠).

وبذا تقود الحجة المتلقي إلى فكرتين الأولى: بأن العباس بن علي عليه السلام، عالم بواجب دين الله، فهو من قوم ليس مشروعهم في الحياة البقاء، وإنما مشروعهم تقديم النموذج الإيماني والأخلاقي العالي، لاسيما في كيفية العلاقة مع الائمة والقادة، والثانية: إن قيمة الامتناع عن شرب الماء هي التي تؤسس معنى الإيثار والاخوة لم يسبق لها نظير.

٣. الحجة البرغماتية أو الحجة النفعية:

فهي "الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما، أو حدث ما، باعتبار نتائجه الايجابية أو السلبية»(الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صولة،١٩١٤ :٣٣٣)، وتبرز فاعلية هذه الحجج عن طريق دورها الحجاجي الذي يوجهه المتكلم نحو عمل يقصده، أي أنها تقوم على مفهوم نفعي، هدفه التواصل وتوجيه الخطاب، كقول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج١، ٢٠٠٨م:٢٦٤):

تُعلّـــق رأس عبـــاس أُمـي
بجيـــد الخيـل مـــن حنـق عليه
فتدخـــله إلـــى كوفـــان عمـــداً
ويضربـــه الجـــواد بركبتـــيه
وذاك لأنـــها بالطـــف كـانـــت
بهـــا حـــل الفـــنا مـــن راحتيه
فلـــم تشـــفي برضـــخ الـــرأس منه
ولا في قطعـــها كلتـــا يديـــه
وكـــم بـــاءت أُميـــة بالمخـــازي
وأخـــزى الخـــزي ما اجترمـــت إليه

يحاول الشاعر إيصال فكرته عن أبشع مشاهد الإرهاب وصوره، التي مارسها يزيد وأعوانه بحق الإمام العباس عليه السلام، إذ إن خبر تعليق رأس الإمام بجيد الحصان ليس بالأمر الهين على المستمع والاستعراض به في احياء الكوفة، هي واقعة فريدة من نوعها لم يذكر لنا التاريخ ما يقابلها، فلم يكتفوا بقطع يديه ورأسه والتمثيل به، وهي أهداف تتجاوز مرحلة استهداف النصر في المعركة، فالحجة لم تكن نتيجة فحسب، بل هي حجة موجهة نحو هدف رسمه الشاعر ليبين سعي الطغاة للتشفي والحقد الدفين وكأنهم يطلبونهم ثأرا (أقتله بغضاً بأبيه).

المبحث الثاني

الحجة المؤسسة على القيم:

يمثل الحجاج بالقيم نمطاً آخر من أنماط الحجج التي يُستعان بها في إنشاء استراتيجية في الخطاب، بل تمثل هذه القيم مدار الحجاج بكلّ ضروبه وخطاباته(في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار مسيكياني، ٢٠١١م:٢١٢)، ولعل ما يدعو عادة إلى توظيف هذا النوع من الحجج هو اختلاف الجماعات البشرية؛ فذلك يتطلب اللجوء إلى القيم(حجاجية الصورة في الخطاب السياسي لدى الإمام علي عليه السلام، كمال الزماني، ٢٠١٢م:١٢٠ـ ١٢١)، تكون محل اتفاق، مما يسمح بإشراك الحالات الخاصة في الفعل(في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار مسيكياني، ٢٠١١م:٢٦)، وهذا الاتفاق يجعل المتلقي أقرب إلى التصديق والاقتناع بما تلقاه. ولمّا كان العربي بطبعه أسيراً للقيم والعادات والتقاليد، ومضطراً للتماهي مع كل ما يرضي أفراد المنظومة الجماعية والاطار الاجتماعي الذي يطوقه لهذا نجد إن شعر الفخر والمديح، مليءٌ بهذا النوع من الحجج، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٢، ٢٠٠٨م:١٤٣):

أبــو الفضــل اقتــدى في كل فضلٍ
بـــــوالدهِ علّـــي ذي المعالـــي
وبالسبطــين مـــن فاقــا البرايا
جميعـــاً بالخلائــق والفعـــالِ
فــما مثــل الوصــي وصــي طــه
ولا الســبطين في شرف الخصــالِ
ســـوى مـــن لا يكـــون لــه
مثيلنبــي اللــه خيرة ذي الجــلال
وفي العبــاس مــن كــرم الســجايا
كثـــير ليـــس يحصر في مقـــال
وفـــاء نجـــدة زهـــد وعلم
وإيثـــار وصـــدق في المقـــال
عفـــاف ظاهــر حلـــم وجــود
وإيثـــار وصـــدق في المقـــال

يفصح سياق الابيات عن فخر الشاعر بأخلاق أبي الفضل وخصاله النبيلة وسمو الخصال من سمو الذات إذ بنى حجاجه من حجة الذات، المتمثلة بـ(زهد، علم، إيثار، وفاء، صدق، عفاف، بأس)، وكلها صفات مختلفة يحملها العباس عليه السلام عن رضاه وفي غضبه، وقد أختار اسلوب عرض الفروسية والشجاعة المعروفة عند العرب، ولذلك يخاطب عقول متلقيه وهذا يلتقي مع نظرية مايير التي ترى في الحجاج "بعداً جوهرياً في اللغة لانّ كلّ خطاب أيّاً كان نوعه يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه» (الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد

سالم محمد الامين، ٢٠٠٨م:١٣٥)، ويقدم لذلك أدلة دامغة تؤكد استحقاقه هذه الصفات، ولا غرو أن يكون العباس عليه السلام من أكمل البشر طبعاً واكتساباً، فأبوه أمير المؤمنين سيد ارباب الفضائل، والحسن والحسين عليهما السلام أخواه قد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: "نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين"(سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تح: شعيب الارنؤوط واخرون، ج٢١٤:٢٠٠٩،٥)، فالعباس فرع من تلك الشجرة اليانعة المثمرة، وغصن من تلك الدوحة الباسقة التي تفيأت بظلها طوائف الاسلام.فهذه الحجة اتخذت من صفات الذات عنصراً تؤكد به قوتها، وتدفعه إلى إقناع المتلقي لتصديق قوله من غير دحض له.

المبحث الثالث

الحجـة القائمـة على العلاقـة التبادليـة:

تبحث هذه الحجة في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة، وهو ما يعني أن «تينك الوضعيتين متماثلتان وإن بطريقة غير مباشرة، وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل»(في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار مسيكياني، ٢٠١١م:٤٥)، إذ الإقنـاع الـتـداولي في هـذه الحجة يكمن في تقابل مسألتين متعاكستين ومن أمثلتها، قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر،ج٢، ٢٠٠٨م:١٤٦):

أبـو الفضـــل ذو كـــرم باهـر
يحيـــــي الـوفـــود وزواره
بطلـق المحيـــا كبـــدر السـماء
وقـــد حســـد البـــدر أنواره

ماثل الشاعر ضمناً في البيت الثاني بين وضعيتين أو علاقتين: الأولى أن الشاعر شبه أبا الفضل بالبدر لوضاءته وجمال هيئته، فإنّ أسرّة وجههُ تبرق كالبدر المنير، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلى ضياء، لا بل أن الشاعر أكد بالرابط الحجاجي (قد)، إن مقايسة نور وجه العباس عليه السلام بنور البدر حكم غير عادل؛ لانّ البدر يغار من أنوار وجه أبي الفضل. أما العلاقة الثانية: فهي المعنى الآخر الذي قصده غير شدة الجمال التي تعّد من اوصاف القمر- وهو أنه يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعاً له، أما شخصية قمر العشيرة كانت تـدور حـول شخصية الإمـام الحسين عليه السلام كالشمس والقمر، فامتداد نوره من نور الحسين عليه السلام، وهو قول إقناعي في محتواه؛ لكونه يعتمد موقفاً منطقياً هو التبادلية، ومن ثم لا يمكن أن ينقض هذه الحجة؛ فكلاهما أبو الفضل عليه السلام والقمر يمتلك النور غير أن الطرف الأول يفوق الطرف الثاني؛ لانّ نوره من نور الحسين عليه السلام الذي لا ينبض مورده.

المبحث الرابع

الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية:

لهذه الحجج أبعاد فنية جمالية تداولية تؤثر في المتلقي بصورة إدراكية، فهي لا تعتمد على إثارة العواطف والمشاعر فقط؛ بل تأخذ من الإدراك العقلي حيزاً بآليات يستنبطها الفكر، وربطها دلالياً بما يدركه العقل نفسه، للوصول إلى استنتاج دلالة عقلية وجدانية بوظيفة إقناعية تأثيرية لدى المتلقي، ومن أمثلة ذلك:

حجة المقارنة:

تُعَدُّ المقارنة إحدى تقنيات الحجاج؛ لأنها "تمكنّ من تبرير أحد الطرفين انطلاقاً من الآخر أو من الآخرين"(مدخل إلى الخطابة، اوليفي بول، ٢٠١٧م: ١٨٧؛ نقلاً عن سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم،٢٠١٧م: ٢٤٨)، ومن شروط هذه المقارنة الحجاجية أن تكون الأطراف المقارنة تنتمي إلى نظام واحد(الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي،٢٠١٧م:٢٤٨)، وهذا الشرط ضروري ليتماهى الخطاب مع الواقع الذي يريد تصويره، ونجد هذه الحجة في أكثر من موضع في هذا النص، كما نجد الشاعر ألح عليها إلحاحاً واضحاً، وبدأ ذلك في حرصه على توالي الأبيات التي اشتملت عليها، وإيرادها في نسق متتابع، ممّا يوحي للقارئ، بأنه كان واعياً بأثر هذه التقنية الحجاجية على المتلقي، ومن ذلك قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر،ج٣، ٢٠٠٨م:٤٠٣):

أبو الفضـــل أبقى للعروبـــة مفخراً
وعلمها كيـــف التفادي مـــن الذل
سرت تحمل الأســـفار للحشر ذكره
هـــو الحر حقاً صدق القـــول بالفعل
وشـــبل علي المرتـــضى أســـس الإبا
وإن ســـجايا الليث لاريب في الشبل
فما اســـتعذبت يـــوم الكريهة نفســـه
وما وجـــدت طعماً الذّ مـــن القتل
لأن بـــه نـــصر الهـــداية والعُـــلا
ورد غـــواة البغـــي قـــسراً إلى العدل
يمثـــل يـــوم الطـــف بـــدراً وعزمه
كعزم أبيـــه فاديـــاً ســـيد الرســـل
وقـــادة يـــوم الطـــف أبنـــاء قـــادة
ببـــدر مع الرجس الغـــوي أبي جهل

إن قراءة في النص توحي أن الشاعر جمع بين توظيف غايتين جمالية وحجاجية؛ ليرتقي في التأثير على متلقيه، قاصداً إقناعه بصدق دعـواه، ولقد كانت الصورة التي قدمها عن ذات العباس عليه السلام من علم وشجاعة وفروسية، التي ورثها عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام كانت مدعومة بالتشبيه (وإن سجايا الليث لا ريب في الشبل)، الذي رسخ الصورة في ذهن المتلقي وأسهم في جذب ذهنه إلى مقارنة مواقف أبي الفضل في نصرة الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف، شبيه بموقف علي بن أبي طالب عليه السلام في نصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر، ومن ثم فإن امير المؤمنين وأبنه أبا الفضل قد حاربا نفس اجواء الإلحاد التي اسسها أبو جهل (لعنة الله عليه).

المبحث الخامس

السلـم الحجاجـي

يُعّدُ التدرج في الكلام من أكثر ما يُميز الخطاب الحجاجي، ويجعل الحجج المقدمة بهذه الشاكلة محققة مداها الأبعد في الإقبال نحو المطلوب؛ لذلك يسعى المتكلم إلى ترتيب حجمه بصورة تدريجية، إما صعوداً وإما نزولاً وأحياناً تراكمياً بحسب السياق الذي يفرضه المقام، أن هذا التدرج في السلم تدرجاً منطقياً يُسهم في نفي الخضوع لمنطق الصدق والكذب(البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، احمد عرابي،٢٠٠٩م:٤٧)، فالحجاج اللغوي ليس كالمنطق الرياضي والبرهان الـذي تكون نتائجه حتمية مطلقة بل هو حجاج تدرجي يحكمه السياق(الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)،حمو النقاري، ٢٠٠٦م:٥٨)، ويتخذ ذلك التسلسل الصور الآتية:

١. سلم الحجج التصاعدية:

وهي نوع من مؤكدات الخطاب لأن الغاية وراء استعمال هذا النوع من الحجاج هو السعي إلى ترسيخ دلالة هذه الحجج في ذهن المخاطب (السلالم الحجاجية في شعر احمد الوائلي، عايد جدوع حنونواخرون مجلة لارك.، ع(٢) ام(٩)، ٢٠١٦م:٨٣) أي أن الحجاج ينطلق من أسفل السلم و«غالباً ما تكون الحجة الاولى المطروحة في الخطاب مهيّأة للمتلقي ومحفزة لذهنه على التواصل والمتابعة لما سيأتي بصورة تصاعدّية على وفق قوتها لاستمالة المتلقي وإذعانه»(اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، د. مثنى كاظم صادق، ٢٠١٥م:١٢٣)، وهذا ما لوحظ في بعض اشعار عبد الواحد، بدأ الشاعر حججه الواحدة تلو الأخرى تصاعدياً، مخاطباً اصحاب الفطرة السليمة، مبيناً الابعاد التي انطوى عليها بكاء الإمام الحسين عليه السلام على أخيه ابي الفضل عليه السلام؛لانّ الشاعر أراد تركيز الشعور بالإثم الكبير الـذي ارتكب في طفوف كربلاء، وأن رسالة البكاء أكثر تعبيراً وأمضى أثراً في إذكاء الضمير الحي وتفجيره ضد الظلم والظالمين، ولا ننسى دور العاطفة؛ لانّ الحسين عليه السلام كان يحب أخاه العباس عليه السلام حباً لا مثيل له، فيقول (موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٣، ٢٠٠٨م:١٧٨):

أبـا الفضـل أبكيت الحسـين وإنه
صبور عـلى جل الخطـوب صليب
فلـم يبكـه إلا افتقـادك إنـه
عظيم لـه تحت الضلـوع نـدوب
فلا لـوم إذ يبكيـك إذ قمت بالذي
يحـق لـه والناصـرون ضـروب
فكنـت لـه طـوع الإرادة لم تهـن
وأنـت لـه دون الحـماة حبيـب
وقـد كان أن يدعـو أجبـت ملبياً
فهـا هـو يدعـو مـا يـراك تجيب
الم تسـمع الصوت مـن أبعد المدى
فلـم لا تجيب الصـوت وهو قريب

بدأ الشاعر بـ الفعل الحجاجي (ابكيت)، وهو حجة واقعة في أسفل السلم التي أدت إلى حجة أقوى وهي (افتقاده)، مستعيناً بالرابط الحجاجي الفاء، حيث ربطت هذه الحجة بما قبلها وخدمتها لدلالتها على الترتيب مع التعقيب، فكانت أقوى من الحجة التي سبقتها وهو الأمر الذي اكده أبو بكر العزاوي الذي يرى بأن الحجة التي ترد «بعد الرابط أقوى من الحجة التي قبلها» (اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي،٢٠٠٦م:٧١)؛ فإنّ افتقاد الإمام الحسين، لأخيه العباس عليهما السلام؛ هو الذي أجرى دمعة الحسين الصبور، وأسبل مصابه عبرة الإمام الغيور الذي يأنف أن يُشاهد منه العدو الكاشح خضوعاً وانكساراً؛ ليصل الشاعر بعد ذلك إلى التذكير بأن أبا الفضل كان مصدر قوة الإمام الحسين عليه السلام، فكان كقوة ضاربة إلى جانبه قائماً برسم أوامره وخدمته وصولاً إلى أعلى السلم مستعيناً بفعل إنجازي غير مباشر عن طريق الاستفهام الإنكاري الذي تخلله التعجب، والذي يقود المتلقي إلى الاستكشاف بأن الإمام الحسين عليه السلام، بات وحيداً لا ناصر له ولا معين بعد أن حال الموت بينه وبين أخيه ابي الفضل العباس عليه السلام، فالنص يشير إلى اسلوب لغوي متقن جاءت فيه الحجج متسلسلة بروابط لغوية خدمت الملفوظ ووجهته نحو النتيجة المبتغاة، وهو تركيز الشعور بالإثم الكبير الذي ارتكب في طفوف كربلاء.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر (موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٢، ٢٠٠٨م:٢٣٩):

أبــو الفضــل رد أمــان العــدى
وســار إلى المــوت مستعجلا
وقــال اخسـئوا يـا عبيـد الورى
فلســنا نطيــع شــرار الملا
أنخضــع للــذل لا والحفــاظ
ومجــد أبيــنا علــي العــلا
وطعــم المنيــة عــند الحفــاظ
وإن كــان مــراً لديــنا حــلا
ألا حبــذا المــوت مــوت الكــرام
عــلى العــز والــذل منافــلا
وللحــر نفــس تعــاف الهوان
وتهــوى عــلى العــز أن تقتــلا
فهيهــات نذعــن لابــن الدعــي
وحكــم الطليــق لئيــم الملا
فلســنا نغــادر أرض الطفوف
ولم نرتحــل قــط عــن كربــلا

يصرح الشاعر في هذا النص الحجاجي بالموقف العظيم الذي تجلت فيه بصيرة العباس عليه السلام، وشجاعته ووقوفه على مبدأ بأبهى صورها، وقد جاء تصريحه بأسلوب تدرّجي تصاعدي يبتغي منه الاعتبار، فيبدأ الشاعر بذكر مواقف أبي الفضل عليه السلام، الذي وقف وقفة الفارس الثابت الإيمان والعارف بطبيعة عدوه، الذي يخشى المواجهة، فيبدلها بالخديعة والمكر متدرجاً إلى الحجة

الثانية بوساطة الروابط الحجاجية (الواو، والفاء) اللذين اسهما بين الحجج في صورة دعمّت وقوت المعنى المراد ايصاله إلى المتلقي بشكل يجعله يتقبلها فهمّاً وقناعة، مبيناً إن سلاح أبي الفضل عليه السلام، أمام مكرهم هو سلاح الوعي والبصيرة، وهو يخاطبهم بعبيد الورى؛ لانّ بني أمية هم ليسوا من قريش انما هم عبيد(الاستغاثة في بدع الثلاثة، علي بن احمد ابو القاسم الكوفي،ج١، ١٣٧٣هـ:٧٦)، أما السلاح الأخر فهو سلاح الصلابة والإيمان، فلا يترك من خُلق لنصُرته، ويدخل في طاعة اللعناء، متدرجاً إلى الحجة الثالثة عن طريق تقنية الاستفهام (أنخضع للذل لا والحفاظ)، فسؤال الإمام العباس عليه السلام في هذا السياق سؤال مغلق إلى حد كبير، فهو لا يحتاج إلى الإجابة بنعم أو لا، بل هو لا يحتمل سوى جواب واحد وهو (لا)؛ لأن مجد أبيه علي بن أبي طالب يعلو كل مجد (أن هذا الشبل من ذاك الاسد)، فالإجابة ها هنا تؤكد الحكم الموجود في السؤال عند المخاطب فلا يكون لإنكاره سبيل فيحبذ الموت موت الكرام مع الإمام الحسين عليه السلام، ليصل بعدها إلى أعلى السلم، وليعلم الإنسان درساً، باختيار عزة الشهادة واعتبار الحياة الذليلة موتاً.

٢. سلم الحجج التنازلية:

يبدأ المتكلم بطرح الحجج الاقوى وصولاً إلى أضعف حجة في سلم الخطاب، لذلك يبدأ كلامه مدافعاً عن الوجهة التي يريد وهذا ما يقيد المتلقي ويحجم عليه باب النقاش، من هنا يتدرج الشاعر بكلامه على وفق هذا النمط، ومن ذلك قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٣، ٢٠٠٨م:٤٤٦):

لما رأى القوم قد طافوا به زمراً
والكل منهم يراه حانقاً حردا
نادى أغثني أبا السجاد يا ابن أبي
لكن لنزف الدما لم يفصحن بندا
فأقبل السبط مثل الصقر حين هوى
على البغات فخلى جمعهم بردا
ثم أنحنى يلثم العباس منتحباً
وقد تنفس من حر الأسا صعدا
يدعو كسرت أخي ظه ري وقد شمتت
بي العداة وهم والله شر عدا

من الواضح أن الحجة الأولى التي عمد إليها الشاعر(لما رأى القوم...)، لا يروم من خلالها تحصيل معرفة، وإنما تتضمن تقنيات حجاجية تصرف المخاطب إلى أن يتوجه بفكره إلى تلك اللحظة التي عاشها ابو الفضل عليه السلام بكل صبر ويقين، حينما حاربه اعداؤه فقد كانوا أجبن من مواجهته، فقد أُحيط به من كل جانب، فصوبوا عليه سهامهم إلى أن سقط صريعاً، وكانت ردّة فعل العباس عليه السلام، أن نادى (أبا السجاد اغثني يا بن أبي)، وهي الحجة الثانية التي سعى إليها الشاعر لنقل الالم والحزن إلى نفس المتلقي، لحظة سقوط العباس عليه السلام في المشرعة فما كان من سيد الشهداء إلاّ أن هجم على القوم وشق صفوفهم كصقر يهوي على فريسته مستعيناً بأدوات الربط (الفاء، وثم) وهي ككل أدوات الربط تستثمر دلالياً؛ لتساهم بالضغط النفسي على المتكلم وتكثيف الحجج عليه ومن ثم تزيد من درجة إقناعه(الحجاج اللساني وآلياته في نص الخطبة، دراسة لنماذج مختارة، فاتن

جغلاف،،٢٠١٦:٣٥)، وصولاً إلى الحجة التي بعدها والتي يجسد فيها أصعب موقف مرّ به الإمام الحسين عليه السلام لحظة وقوفه على مصرع أخيه، فانحنى يقبله وهو يبكي قائلاً "الآن أنكسر ظهري وقلّت حيلتي، وشَمُت بي عـدوّي»، فكان هـذا التـوالي في ترتيب الحجج يقوم على حسن اختيار الحجج وصوغها وتنظيمها وإلقائها (الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الإجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، عبد الله البهلول، ٢٠١٣م:٧٠) فإن تنظيم الحجاج على وفق هذا المسار التنازلي يمنح المتكلم الحيز الأكبر لكسب رضا المخاطب. ومن ذلك أيضاً قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٣، ٢٠٠٨م:٦٢ـ ٦٣):

أبـا الفضـل يـا بـن عـلي الفخار
وصنـو النبـي وحامـي الذمـار
حميـت ظعائـن آل الرسـول
بتلـك الفـيافي وتلـك القفـار
إلـى أن نزلتـم بوادي الطفوف
وقـد كنـت كالحصن والمستجار
وبعـد افتقادك سـار النسـاء
بـذل السـباء وذل الإسـار
فلـو كنـت حـياً تـرى زينباً
تصـوب المدامـع صـوب القطار
وتلك العقائـل بعـد الحجاب
سُـلبن الملاحـف حتـى الإزار
فقـم يـا كمـي إلى ظعنكم
فقـد سـار يطـوي وهـاد القفار

يبتدئ الشاعر خطابه بأسلوب النداء للتباهي بعظمة شخصية الإمام العباس عليه السلام: (أبا الفضل يا بن علي الفخار...)، فهو حامي ذِّمار آل الرسول ليحرك الحس الوجداني لدى المتلقي، من خلال بيان ما يتمتع به العباس عليه السلام من خلق هاشمي يمنعه من ترك النساء دون حمى، فكان يحامي عن حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليتسلسل تنازلياً لإعلان حادثة عاشتها بنات رسول الله ويريد أن نعيشها معه، وفق هذا الترتيب، أدرك الشاعر اهمية توضيح الحقائق، بمعنى تأكيد الحالة المأساوية التي كان عليها هؤلاء النسوة، حينما قُتل حاميهن، وقد استعان الشاعر بالأداة (لو) التي تستعمل فيما لا يتوقع حدوثه بالفعل الماضي(كنت)، للتعبير عن حالة الحرائر لحظة السبي، وصـولاً إلى أسفل درجة من السلم الا وهي طلب الاستغاثة بحامي الضعينة، لينهض ويرى ما فعله يزيد واعوانه (لعنة الله عليهم) ببنات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد تسليبهن وحملهن من بلد إلى بلد يتصفح وجوههن المسلم والكافر.

٣. سـلم الحجـج التراكميـة:

ينتمي الحجاج لهذا النوع من السلالم عندما «تتعدد فيه الحجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الاضعف أو العكس، ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتلك الحجج فكل حجة تكون أقوى وأكثر فاعلية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية وتلقائية من النوعين السابقين(الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل العباسية الاندلسية خلال القرن

الهجري الخامس انموذجاً(دراسة تحليلية)، عبد العالي قارا، ٢٠١٥م:٣٧٣) أي أن الحجج المُنتمية لهذا النوع من السلالم تزدحم متخذة نوعاً من الاستقلال لكل حجة، وما يدل على ذلك أن نقض أي حجة من تلك الحجج يـؤدي إلى نقض الحجة التي تليها أو تسبقها(السلالم الحجاجية في شعر احمد الوائلي، عايد جدوع حنونواخرون مجلة لارك..، ع(٢) ام(٩)، ٢٠١٦م:٨٦).

ويعد التكرار موجهاً يضطلع بدور إقناعي مؤثر في القول، فهو يوفر للحجج طاقة مضاعفة تؤثر في المتلقي تأثيراً واضحاً وتعين على إقناعه وجعله يُسلم بما يقوله المتكلم، لأنه يساعد على تبليغ المخاطب وإفهامه قصد المحاجج من كلامه، فضلاً عن انه يـؤدي إلى ثبوت الفكرة وترسيخها في ذهنه، فاذا بدأ المحتج بتكراره كحجته فإن ذلك يقود إلى بيان مقاصده وأدراك مراميه وتصبح جلية لدى المتلقي، فتنحو به نحو القبول(الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي،٢٠١٧:١٦٨). ومن أمثلة ذلك قول الشاعر(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٣، ٢٠٠٨م:٣٥٧ـ٣٥٨):

نادى أبا الفضل من يحمي حماك ومن
يحمل لواك فقم يا فـــارس العـــرب
ولم يـــزل عنده حتى قضى فمضى
نحـــو المخيم بادي الحـــزن والنصب
فاستقبلته بنـــات الوحي صارخة
هـــاذي تقول أخي قـــل لي وتلك أبي
أين الذي كـــان يحميـــنا ويحرســـنا
من الأعادي بحد المرهف القشـــب
أين الـــذي كـــان مأوانـــا ومؤولنا
ومـــن يجـــود لنا بالبـــارد العذب

إن النص بأكمله يشير إلى كثافة لغوية خيم عليها الاستفهام والتكرار، (من يحمي حماك، ومن يحمل لـواك)، ليكونا سُلماً تراكمياً ذا وظيفة إقناعية تجعل المخاطب يوقن أن استشهاد الإمام العباس عليه السلام، قد ترك ألماً عظيماً في قلب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كانت اسئلة الإمام الحسين عليه السلام تفيض ألماً وحزناً وحسرة، أدت أغراضاً حجاجية تمثلت في إشراك المتلقي ودفعه للتحاور معه ومشاركته احاسيسه والآمـه والتفاعل معه، فبموته بقي الحسين عليه السلام وحيداً بكل ما للكلمة من معنى ودلالة، فقد سقط اللواء.

وقد اعتمد تقنية التكرار مرة أخرى مع اسم الإشارة (هاذي تقول أخي قل لي، وتلك أبي)، ليعطي أشعاراً للمخاطب بالحالة المأساوية التي كانت عليها بنات رسول الله وقد قُتل حامي الضعينة، ثم اردفها بتكرار السؤال (أين الذي يحمينا ويحرسنا؟)، (أين الذي كان مأوانا ومؤولنا)، فالسيدة زينب عليها السلام لم تسأل أبا الاحرار؛ لتبحث عن إجابة إنما سألته لتشكل حججاً دامغة لإثراء فكر القارئ من خلال تأكيدها لحقيقة بني أمية وهي السعي في القضاء على نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإبادة أهل بيته، ثم يختتم سلمه الحجاجي بقوله(موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، ج٣، ٢٠٠٨م:٣٥٨):

فاستعبر السبط حزناً حين قال قضى

يا زينب البطل المغوار فاحتسبي

فحسبي الله قالت والدموع جرت

مثل السحاب بهطال ومنسكب

فالشاعر عند رصفه لصوره الواحدة قرب الأخرى، في سلمه الحجاجي، استطاع بطريقة ما أن يؤسس نقطة ارتكاز رئيسة، نجح من خلالها في تأجيج العاطفة المتمثلة بالتأسي على سبط علي عليه السلام، والشيء المثير حقاً إننا كلما تعمقنا في النص نجد مظاهر القوة والحزم والصلابة، التي بناها الشاعر لسيد الشهداء، بكل أبعادها، ولا اعني بذلك القوة الجسمانية وتحقيق الانتصارات على الخصوم فقط، وإنما أعني القوة الاخلاقية وقيمها، ولا ننسى إن جانباً كبيراً من هذه القوة هو لصيق بأدق احاسيس الشاعر النفسية وفكرته الخاصة التي جاءت تخفيفاً من حدّة الوعي والتفكير والحزن لتلك الفاجعة، لذا يلجأ إلى تكرار أداة الربط الحجاجية (الفاء) فضلاً عن الأفعال الإنجازية المعروضة (استعبر، قضى، احتسب) لما فيها من حمولة إخبارية مقدمة وظيفتها لتأكيد اعتقاد الشاعر حول الحزن المسيطر على بيت النبوة، وتثبيت إيمانهم التام بأقدار الله من خلال الالتجاء إلى الله (سبحانه وتعالى) والاعتصام به.

الخاتمة

(١) لقد أبانت التقنيات الحجاجية في شقيها المنطقي واللساني عن مرونة كبيرة في قراءة الخطاب الشعري والتفاعل مع بنياته المكونة له، وأن سبب هذه المرونة هو تلك الإمكانات الإجرائية التي أتاحتها هذه التقنيات التي تبدو أنها مؤسسة لبنية هذه الموسوعة، كالحجج المؤسسة على الواقع والحجة المؤسسة على القيم والحجة القائمة على العلاقة التبادلية والحجج شبه المنطقية والسلالم الحجاجية.

(٢) استعان الشيخ المظفر ببعض العناصر البلاغية وادوات الربط لتنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج عن طريق التركيب من اجل التلاحم والاتساق بين النصوص، وبذلك فإن هذه الحجج هي العامل الاساس الذي جعل هذه الموسوعة تحقق فاعليتها الإقناعية.

(٣) قد ألحّ الشيخ المظفر في توليد صوره على ما يؤكد شجاعة الامام العباس عليه السلام وإيثاره وبصيرته وإمعاناً في وصف بطولته النادرة، وفي الوقت نفسه حاول ايصال فكرته عن أبشع مشاهد الإرهاب وصوره التي مارسها يزيد وأعوانه بحق الإمام العباس عليه السلام، وبذلك فإن هذه الحجج المشكلة لمختلف الطرائق الاتصالية، تحمل في ذاتها طاقة حجاجية تجعلها أكثر قوة لحمل المتلقي الكوني عبر الحقب المختلفة على التسليم بما يعرض عليه من أفكار واطروحات ومن ثم إقناعه بها.

(١) نلحظ أن نصوص الموسوعة تشير إلى اسلوب لغوي متقن جاءت فيه الحجج متسلسلة بروابط لغوية خدمت الملفوظ ووجهته نحو النتيجة المبتغاة، وهو تركيز الشعور بالإثم الكبير الذي ارتكب في طفوف كربلاء.

(٢) ومن المؤشرات التي شكلت جزءاً من لغة الشيخ المظفر في موسوعته السلالم الحجاجية، فكان يبني بعض حججه على وفق تراتيبية معينة تأخذ فيها الحجة طريقها الإقناعي، إما صعوداً وإما نزولاً، راسماً الأبعاد الإقناعية التي يبتغيها لإثراء فكر القارئ من خلال تأكيدها لحقيقة بني أمية وهي السعي في القضاء على نسل رسول الله ﷺ، وإبادة أهل بيته عليهم السلام.

المصـادر

(١) الاستغاثة في بدع الثلاثة، علي بن احمد ابو القاسم الكوفي، منشورات الاعلمي، طهران، ١٣٧٣، ط١.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، السيد أقا حسين البروجردي، منشورات مدينة العلم، ايران، ١٤٠٧.

(٣) الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الإجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، عبد الله البهلول، مطبعة دار النهى، تونس، ٢٠١٣، ط١.

(٤) الكليات: أبو البقاء أيوب الكفوي(١٠٩٤هـ)، تح عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٥) حجاجية الصورة في الخطاب السياسي لدى الإمام علي عليه السلام، كمال الزماني، الاردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٢، ط١.

(٦) الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم محمد الامين، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٨.

(٧) الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل العباسية الاندلسية خلال القرن الهجري الخامس انموذجاً(دراسة تحليلية)، عبد العالي قارا، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٥، ط١.

(٨) الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط٢، اربد، الاردن، ٢٠٠١.

(٩) الحجاج أطره ومنطلقاته،وتقنياته من خلال (مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتكاه، عبد الله صولة.

(١٠) الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث ضمن كتاب التحاجج (طبيعته ومجالاته ووظائفه)،حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم(١٣٤)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

(١١) دلائل الاعجاز في علم المعاني، ابو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢.

(١٢) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تح: شعيب الارنؤوط وعادل مرشد وسعيد اللّحام، دار الرسالة العالمية، ط١.

(١٣) في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، عبد الله صولة، دار مسيكياني، ط١، تونس، ٢٠١١.

(١٤) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م، مادة (حجج)، ج٢.

(١٥) اللغة والحجاج، ابو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ط١.

(١٦) المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، محمد مجدي الجزيري، دار آتون للتوزيع، (د. ت)، ١٩٨٦.

(١٧) مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الامين، مجلة عالم الفكر، العدد(٢) يناير- مارس، ٢٠٠٠.

(١٨) موسوعة بطل العلقمي، الشيخ عبد الواحد المظفر، مؤسسة الشيخ المظفر الثقافية، العراق، النجف الاشرف، ٢٠٠٨، ط١.

(١٩) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.

(٢٠) نظرية الحجاج عند بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٤.